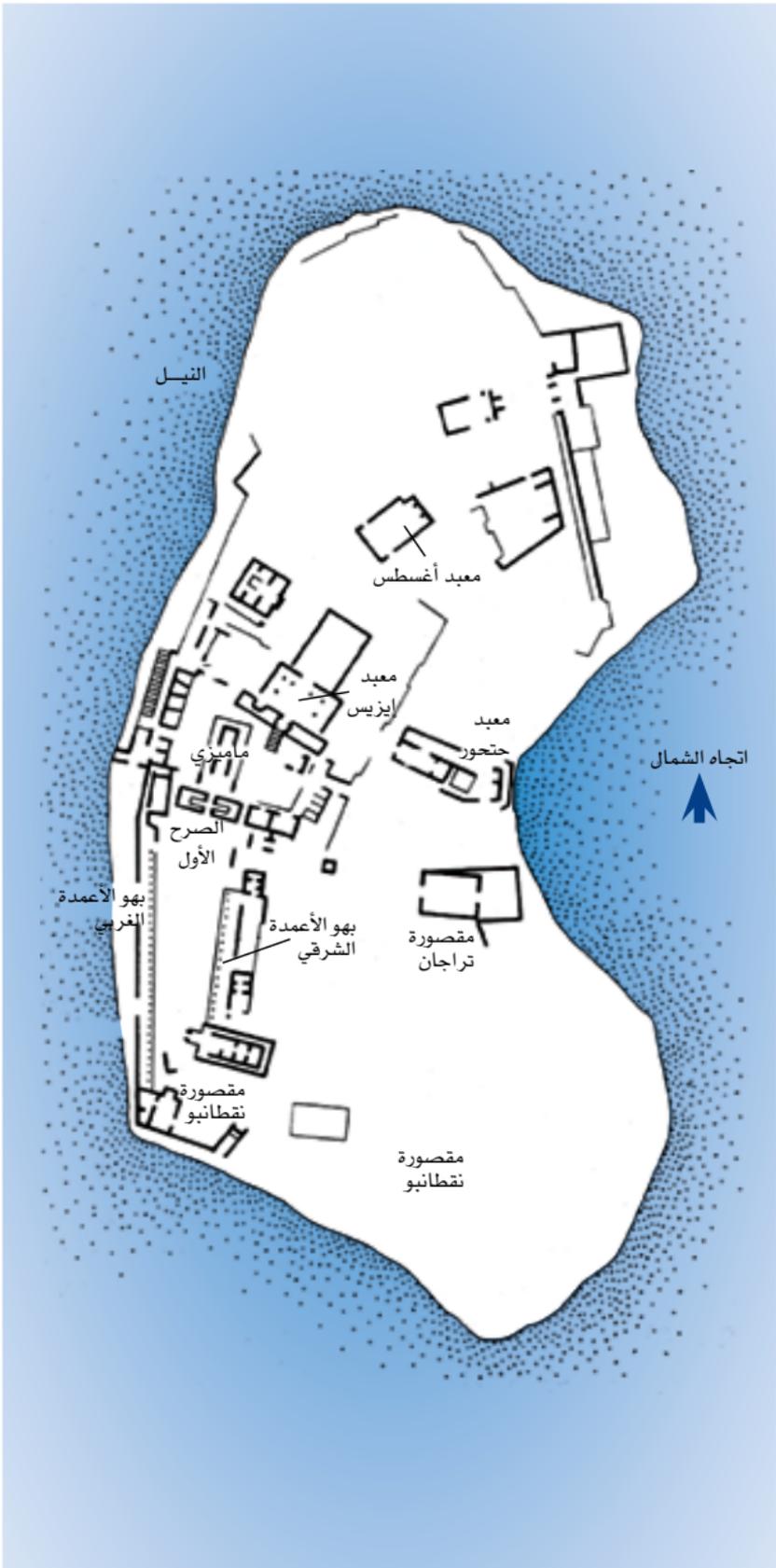


إلى اكتشاف تراثنا

# مهابد فيلقة



النص ل: چيهان زكي



## جزيرة فيلة وآثارها



إلا اكتشافاتنا

مباردة

## نبذة تاريخية



على جزيرة صغيرة في أعلى نهر النيل بمحاذاة الحدود الجنوبية تقع مجموعة معابد كرسيت لعبادة الالهة إيزيس منذ قديم الزمن ١ وقد شاءت الأقدار، أن تكون هذه الجزيرة مهددة بالإندثار والغرق تحت مياه النيل وذلك عندما قررت الحكومة المصرية في الستينات بناء سداً كبيراً (السد العالي) لتحقيق التنمية الإقتصادية للبلاد والعمل على إزدهار الصناعة وتوسيع الرقعة الزراعية ٢ .



وقد كان لهذا القرار السياسي الهام ببناء السد العالي عواقب وخيمة على منطقة النوبة بمبانيها التراثية، معابدها ومقاصيرها. كل هذا التراث الثقافي والذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من تراث البشرية أصبح مهدداً بالغرق تحت مياه النيل ٣ .



ومن ثم، فغرق جزيرة فيله كان محتملاً وتوجب التفكير في إنقاذ مبانيها عن طريق تفكيكها ونقلها لمكان آخر آمن بعيداً عن فيضان النيل فدعونا نتخيل هذا العمل العملاق!



ولعله في المهم التذكير بأن هذه الجزيرة هي إحدى جزر الشلال الأول وكان لها في

العصور الفرعونية قدسية خاصة نظراً لوجودها في رحاب توأمتها جزيرة بيجة التي كانت تحتوى على قبر الإله أوزيريس إله العالم الآخر والذي ربطته الأساطير المصرية بالإلهة إيريس كزوجة وأخت وأم للاله حورس ٤ .

كانت جزيرة بيجة تعرف في العصور الفرعونية بـ «الجزيرة الطاهرة» و«المكان الذي لا يدنى منه». ولا يزورها الا كاهن للتطهير أو التلاوة. حتى العسافير كانت لا تجرأ التغريد حولها والسماك يبتعد عن شواطئها.

## يحكى أن... في سالف العصور والآوان...

سميت جزيرة فيله باسم «جزيرة الزمان» وشهدت الكتابات والنصوص الفرعونية القديمة على أن أقدم مبانيتها يرجع إلي عصر الدولة الحديثة (أى ثلاثة عشرة قرون



قبل الميلاد) بينما أول مبنى حجرى نستطيع أن نراه في مكانه اليوم كشاهد على الزمن هو بوابة منمقة العمدان ودسمة النقوش تحمل اسم الملك نقتانبو، أحد ملوك الأسرة الثلاثين (أى القرن الرابع قبل الميلاد) قد أهداها للالهة إيزيس ربه هذه الجزيرة.

توالت السنين، وازدادت هذه الجزيرة رونقاً وبريقاً على الصعيد الإقليمي حيث أصبحت أهم أديرة العبادة في أقصى صعيد مصر.



وأثناء حكم البطالمة (من القرن الثالث إلي القرن الأول قبل الميلاد) تلقى كهنة إيزيس تعضيد البلاط الملكى السكندرى فعلى سبيل المثال، قام الملك بطليموس الثانى إصدار مرسوم ملكى يهب فيه وقف المنطقة الجنوبية للجزيرة لحساب كهنة إيزيس هذا بجانب، ما كانوا يتقاضوه مقابل مرور مراكب التجارة من النوبة العليا إلي أعماق

الأراضى المصرية مما أزداد قوة الجالية الكهنوتية على الجزيرة وبأسها ويمكن أن نقول إستيادها أحياناً.

ارتبط اسم جزيرة فيلة عبر القرون السحيقة بالالهة إيزيس ربه هذا المكان والتي شيدت معظم مقاصير ومعابد الجزيرة على شرفها ومن أجلها تعبداً وخشيه منها.



إلا أنه هناك بعض المباني المتأثرة هنا وهناك قد أهديت لآلهة أخرى ولعل أهمها تلك المقصورة التي شيدها الملك بطليموس الرابع للاله «مندوليس» أحد أشكال الإله حورس في بلاد النوبة مقصورة أخرى، تم إهداءها «لإيمحتب» أشهر مهندسي مصر القديمة والذي أله تحت اسم «أسكلابيوس» عند الاغريق.



وبمرور السنين، لمع نجم جزيرة إيزيس وأصبحت من أشهر وأقدس دور عبادة الإلهة إيزيس في منطقة الصعيد بل وفي مصر كلها.

ترددت أسطورة، عبر الزمان وانتشرت عن إغلاق معابد فيلة ذو الإشعاع مترامى وسردت القصص والأقاويل عن هدم أجزاء من المعبد الرئيسى، تحطيم التماثيل الحجرية بينما تم نقل النفيثة منها إلي روما وطالما سمعنا عن روايات تعذيب الكهنة إلا أن الأبحاث العلمية في الأونة الأخيرة قد أثبتت عكس ذلك وبرهنت على أن معابد إيزيس على جزيرة فيلة ظلت قائمة حتى القرن التاسع الميلادى.

وجدير بالذكر أن جزيرة فيلة وكذلك معابد بعليك ببلبان ظلتا آخر حصون الوثنية (أى عبادة إيزيس) في الشرق الأوسط ولكن ذلك لم يحل دون وجود كنيسة قبطية في داخل المعبد.

وكذلك نرى مئذنة متواضعة عرفت بـ«مئذنة» بلال على الجانب الغربى من الجزيرة وذلك بعد دخول الإسلام لبلاد النوبة عام ١٦٤١م وغالباً ما شيدها التجار المسلمون الذين كانوا يمرون بتجارتهم على الجزيرة أثناء إنتقالهم بين النوبة والصعيد.

## الخسوف الكلى لجزيرة فيلة : إيزيس تصبح «ورد» أميرة الأمراء.

في العصور الوسطى، خلت الجزيرة من السكان الذين كانوا يقطنون أعلى الخرائب الفرعونية المهجورة ٩.



هذا لا يمنع أن ذكرى تألق الجزيرة وأهميتها الأسطورية ظلت كافية في العقل الباطن لهؤلاء وأصبحت جزء لا يتجزأ من ذاكرتهم وموروثاتهم التي عبرت الحدود حيث أن واحدة من ليالى «ألف ليلة وليلة» أشهر قصص الأدب العربى دارت أحداثها على هذا الجزيرة وكان أبطالها «أنس الوجود» ومحبوبته الأميرة «ورد».

وتحكى هذه القصة أن الأميرة «ورد» كانت قد سجنها أبوها الملك في أحد القصور الفرعونية المهجورة داخل جزيرة تقع في وسط النيل وبالتحديد في منطقة ملثية بالتماسيح وذلك لإخفاءها عن أمين حبيبها «أنس الوجود».

فما كان على «أنس» إلا التقرب من التماسيح وملغاتهم لمساعدته على عبور النيل في أحد أخطر مجاريه.

ولعلنا نذكر هنا أن هذا المشهد من تلك القصة الأسطورية المستوحاه من التاريخ المصرى تستند على أحد أهم وأشهر نقوش المعبد وهو النقيش الذي يظهر الاله أوزيريس وهو يعبر النيل على ظهر تمساح ١٠.



وفي نهاية المطاف، نجح المحبوبان في التلاقى وعادت الأميرة «ورد» إلي بلاط أبوها ملك البلاد والذي بارك زواجها وعاشت مع «أنس الوجود» في تبات ونبات.

## إيزيس «عودة إلي الحياة - مفاجأة القرن العشرين»

شأت الأقدار أن تعود الأنظار مرة أخرى في نهايات القرن التاسع عشر لتضىء تاريخ مجد الإلهة إيزيس فإنها العديده من السياح الأجانب لزيارة الجزيرة ولعل من أشهرهم من علقوا على روعة الجزيرة وعظمة عمائرها وخلابة مناظرها فعلى سبيل المثال وصفت الروائية البريطانية إميليادوارد ١١ زيارتها إلي جزيرة فيلة ١٨٧٢ - ١٨٧٤ قائلة «الإقتراب منها عبر النهر هو أجمل



شئ على الاطلاق... حيث تظهر الجزيرة بنخلها وعمائرها الرشيقة وحصونها وكأنها تولد من أحشاء النهر كما لو كانت سراباً تحيط بها الصخور المترامية من الجانبين وجبال أرجوانية تظهر في الأفق تقطع المسافة وكلما إقترب القارب ماراً بين الصخور اللامعة كلما بدت هذه الأبراج النحتية أعلى وأعلى وسط الماء، لا يظهر عليها علامات خراب أو أثر لمرور الزمن، بل تبدو جميعها صلبة، متينة، في أعلى درجات الكمال.

ينسى الشخص أمامها الزمن للحظات ويشعر كأن شيئاً لم يتغير، فإذا تعالت النغمات العتيقة وامتزجت بنسمات الهواء الهادئ وإذا رأينا موكباً للكهنة يحملون عالياتاً تابوتاً مغطى للإله يجولون حول وبين أشجار النخيل والأبراج ما تعجبنا ولا وجدنا ذلك غريباً، كانت هذه الزيارات مجرد جزء من الاهتمام الكبير الذي أولته إنجلترا في عهد الملكة فيكتوريا لمصر. وسرعان ما أصبحت الزيارات السياحية إلى جزيرة فيلة أحد كلاسيكيات البرامج السياحية في مصر.

وفي ستينات القرن الماضي، حينما كانت مياه النهر تغمر جزيرة فيله طوال العام شهد العالم سبق يعتبر الأول من نوعه وتضافر جهود أكثر من ٥٠ دولة لإنقاذ هذا الجزء من إرث الإنسانية فور إنطلاق نداء منظمة اليونسكو لإنقاذ آثار النوبة وفي بداية السبعينات بدأت عمليات الإنقاذ وتم بناء سور ضخيم مكون من صفين من ألواح الصلب حول الجزيرة فرغت بينهما مليون متر مكعب من الرمال وبالتالي تم حماية مباني الجزيرة وتوالت بعد ذلك عمليات التنظيف والمسح الأثرى والتصوير بهدف نقل أجزاء المعبد وإعادة تركيبهم بدقة.

## إيريسه والسد العالي : صداع يبه عبق الماضي ومتطلبات المستقبل.

بدأت مياه النيل تهدد عمائر جزيرة فيلة عام ١٩٠٢ وذلك عندما تم الانتهاء من تشييد سد أسوان وزاد الطين بلة تعليه مستوى السد على مرحلتين عام ١٩٠٧ - ١٩١٢ وعام ١٩٢٩ - ١٩٣٤ حيث أصبحت الجزيرة مغمورة بالمياه



بشكل دائم <sup>١٢</sup> وكان لذلك أثر وخيم على المعبد.

فجاءت فكرة فك المعبد ونقله بعيداً لجزيرة أخرى تسمى أجليكا <sup>١٣</sup> لحمايته وصون نقوشه بألوانها البراقة التي ذابت معظمها وتلاشت جزاء التغطية الدائمة للمياه وإرتطام النهر بجدران المعبد التي ما غطت أحجارهم الطمي والعوالق التي يحملها النهر.

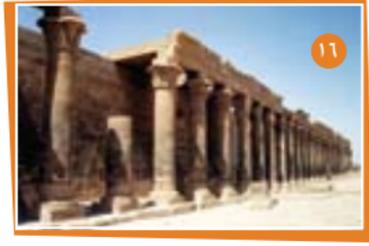


وفي عام ١٩٧٠، أعرب الرئيس المصري أنور السادات عن تقديره للمجهود الدولي المبذول لإنقاذ هذا الجزء الهام من تراث البشرية وأكد إعجابه بروح التعاون التي نشيت إثر مبادرة اليونسكو لإنقاذ آثار النوبة <sup>١٣</sup>.



## جولة في أنحاء الجزيرة

في حقيقة الأمر، إن العناصر الفنية والمعمارية المختلفة والتي تراها عزيزي الزائر هنا وهناك في أنحاء الجزيرة قد تراكمت عبر عصور مختلفة، بدأ من العصر الفرعوني وحتى أواخر العصر الروماني وجدير بالذكر أن أقدم الآثار الباقية على الجزيرة هي مقصورة فرعون مصر «نقطنبو الأول»<sup>١٥</sup> والذي حكم مصر عام ٢٨٠ ق.م ولدة عشرون عاما والتي ترتبط بمبنى المعبد الرئيسي عن طريق صفين من العمدة<sup>١٦</sup>. يعود تاريخ معظم أطلال الجزيرة ومبانيها للعصر البطلمي (بطليموس الثاني والخامس - السادس) إلي جانب بعض الآثار والنقوش التي تعود للعصر الروماني مثل تماثيلين الأسدين الكبيرين الواقعان أمام الصرح الأول وكذلك قاعدتان للمسلتين الذي كان إرتفاع كل منهما حوالي ١٣ متراً.



الصرح الأول<sup>١٧</sup> يتكون من برجين كبيرين عليهما نقوش رائعة للإلهة إيزيس وبصحبتهما الإله أوزيريس والإين حورس. وفي وسط هذا الصرح هناك بوابه تحمل إسم ملك مصر نقطنبو وتسمح بالدخول إلي قلب المعبد.



غير أنك، عزيزي الزائر، قد تتفاجأ بكمية

كبير من آثار التدمير وأعمال التشوية التي نالت من أجمل النقوش وأكثرها براعة.

وقد وقع ذلك وبالتحديد عند ظهور الديانات السماوية التي أعتبرت العمائر الفرعونية بمثابة مباني وثنية وأحل العبث بها.

وعند الدخول من بوابة الصرح الأول، تجد نفسك في بهو شبه مربع يحده الصرح الثاني أمامك وقاعة من أحلى قاعات المعبد على يسارك، وهي القاعة المخصصة للولادة الملكية وتعرف بالـ «ماميزى»<sup>١٨</sup> وهذا القبة اللاتينية أطلق عليها من قبل عالم المصريات «جان فرنسوا شمبليون» الذي فك رموز اللغة



المصرية القديمة «الهيروغليفية» في عشرينيات القرن الـ ١٩.

ومما يثير دهشتنا في الصرح الثاني لمعبد إيزيس هو وجود كتلة ضخمة من الجرانيت تبدو ذات أهمية وقدسية حتى أن مهندس المعبد إضطر إلى خرق قاعدة السيميتيرية في بناء المعبد المصري القديم مما أدى إلي، إعوجاج في الصرح الثاني مقارنة بالأول.

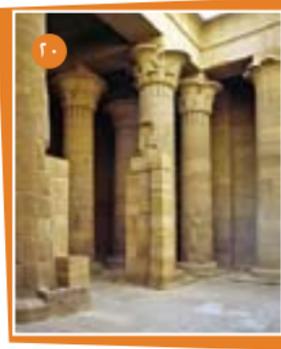
أما بالنسبة للكتلة الصخرية<sup>١٩</sup> وبالرجوع لما هو مكتوب على جدارها، تمثل مرسوماً ملكياً للملك بطليموس الثاني يهدى فيه عائد المنطقة الجنوبية للمعبد للإلهة إيزيس



وقد جدد هذا الوقف في عصور لاحقة على يد الملوك البطلمية ومن بعدهم الأباطرة الرومان.

وبفضل هذا الوقف الملكي، زاد بأس كهنة جزيرة فيله الذين تمتعوا على مدى أكثر من قرنين من الزمان بالثروة والنفوذ حيث

كانوا يتعاملوا مباشرة مع البلاط الملكي السكندري إحتقاراً منهم للمسؤولين المحليين في صعيد مصر وخلف الصرح الثاني، نجد أنفسنا في صالة الأعمدة **٢٠** والتي كانت قد تحولت في بدايات العصور المسيحية إلى كنيسة قبطية وبإمكاننا الآن أن نرى مذبح يحمل نقش غائر لصليب وكذلك مرسوم تأسيس الكنيسة على يد الأب تيودوز.



خلف صالة الأعمدة يوجد عشرة قاعات غارقة في الظلام وقد نقش على جدرانهم صفحات من أسطورة «إيزيس وأوزيريس» ولعل من أحلى المشاهد، تلك الموجود على الحائط الغربى للقاعة المعروفة بـ «قدس الأقداس» ونرى من خلاله إيزيس وهي ترضع ابنها حورس وفي منظر آخر وهي تقف خلف زوجها وحبیبها أوزيريس لتحميه من قوى الشر وفي نقش آخر، نجد آلهتي الفيضان «ساتيس» ذات النجمة البراقة على تاجها و«عنقت» بتاجها المرصع بالريش الملون.

وفي جنوب المعبد، هناك مقصورة معروفة خطأً بـ«كشك تراجان» ولكنها في الحقيقة، شيدت في عصر الإمبراطور أغسطس.

وتشتهر هذا المقصورة بروعة بناءها وبأعمدتها الإثني عشر الذي يحمل كل منهم تاجاً ذو أشكال وتكوينات نباتية مختلفة ومتنوعة فمنها أوراق اللوتس وفروع النخيل وزهر الدوم تطل هذه المقصورة على النيل من الجهة الجنوبية وتستطيع عزيزي الزائر الوقوف على «رصيف» المقصورة والذي كان يستقبل زائري الإلهة إيزيس من القبائل النوبية وذلك للاستمتاع بمنظر خلاب على صخور الشلال الأول.

إلى جنوب معبد إيزيس، توجد مقصورة تتميز بعمارتها النادرة وشهرتها واسعة المدى،



تعرف بـ «مقصورة هادريان» **٢١**. تعرف المقصورة برصيفها المتسع الذى يسمح للزائر برؤية الصخور المتبقية من عملية نقل معبد جزيرة إيزيس الأصلية.

وبجانب هذه المقصورة، يوجد معبد صغير أهدها «بطليموس السادس» إلى الإلهة «حتحور» **٢٢**، يتميز بالبلوكات المنقوشة بمختلف الآلات الموسيقية مثل «الطبله» و«الهارب».



ويعد «البلوك» المنقوش بصورة الإله «باس» **٢٢** إله المرح والموسيقى، وهو يعزف على آلة «الهارب»، من أشهر هذه «البلوكات».

## حماية وصون تراث جزيرة فيلة

جزيرة فيلة هي جزء من موقع التراث العالمي «أسوان» من فيلة لأبوسمبل، والمدرج على قائمة التراث العالمي عام ١٩٧٩ وقد قامت الحكومة المصرية مؤخراً بإعداد خطة لإدارة الموقع والحفاظ عليه وفي نفس الوقت تعظيم الاستفادة السياحية منه.

ويمكنك أنت أيضاً أن تساعدنا في حماية هذا الأثر التاريخي العظيم باتباع بعض التعليمات:

● لا يجب الكتابة على الحوائط، أو على اللوحات الإشادية الموجودة في الموقع.

● لا يجب أن تسلق الحوائط.

● يمكنك أن تشاهد ولكنك تجنب لمس النقوشه والرسومات فهي حساسة للغاية.

● لا يجب إلقاء المخلفات على الأنتم.



© إعداد النص : جيهان ذكي جامعة حلوان - ٢٠١٢

الترجمة للعربية : جيهان ذكي

حقوق التصوير : فرنسوا جوردون، هنري نيفك، جيهان ذكي، دافيد روبرت، كرستيان لوبلان، محمد البيلي، أرشيف صور CEDAE و CSA



تم نشر هذا الكتيب الموجه لتلاميذ المدارس بفضل دعم :

جمعية الحفاظ على الرامسيوم والبنك الأهلي سوسيتيه جنرال (NSGB - القاهرة)

الناشر : لومينا للنشر - عباس خليل - جمهورية مصر العربية

يوزع مجاناً